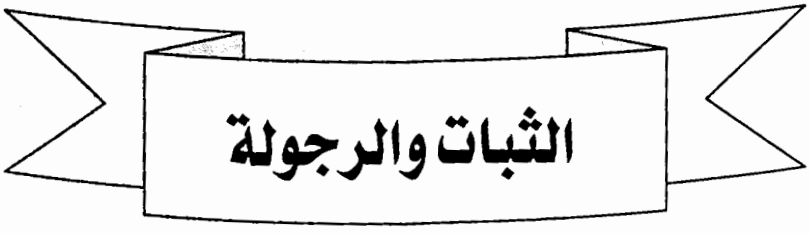

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا... ﴾

[الأحزاب:٢٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

من المفاهيم التي دخل عليها قدر كبير من التحريف والتغيير حتى انقلبت إلى الضد مفهوم الرجولة.

فلقد رأينا في هذا الزمان صبية صغارًا يأتي أحدهم المنكرات والآثام، فيشرب الدخان، ويتجرع الخمور، ويذهب إلى أماكن اللهو، ويشاغب الفتيات، ويظن أن ذلك كله علامة الرجولة والفتوة، ومنهم من يظن أن من مظاهر الرجولة، ومن الأدلة عليها أن يثير الشجار والعراك بين أبناء شارعه أو منطقته فيروع الآمنين، ويتعرض للناس بالسوء والأذى، ويسعى في الأرض فسادًا بتخريب المحال، وهدم المنشآت والمرافق ثم يعد ذلك الخبل كله من الرجولة والفتوة.

ومنهم من يدخل بيته عابسًا مكفهرًّا يسب ويضرب ويرفع صوته بسبب أو بغير سبب، ويتسلط على امرأته بمنعها من كل حق لها حلال أو حرام، ويظن أن ذلك كله من الرجولة.

ولو أردنا أن نعدد مظاهر الشر في تلك الرجولة المدعاة في عصرنا الحاضر لأتينا على كل صور الفواحش والمنكرات، لذا كان لابد أن نذكر أنفسنا وإخواننا وشباب المسلمين بمفهوم الرجولة الحقة في كتاب الله تعالى الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١].

* الصدق مع الله مفتاح الرجولة في القرآن:

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ۞ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

في هاتين الآيتين الكريمتين يقترن وصف الرجولة بصفة الصدق مع الله، والوفاء بعهد الله، والالتزام بمنهجه واتباع سنة نبيه ﷺ بغير تبديل ولا تحريف.

وهذه الآيات الكريمة قد نزلت في صفة أصحاب النبي ﷺ الذين ثبتوا في غزوة الأحزاب ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هاتين الآيتين: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[٣].

* من سمات الرجولة:

* الصدق والثبات والالتزام بالعهد:

لقد كان الصدق مع الله تعالى هو سمة هؤلاء الرجال من أول لحظة يعلنون فيها إسلامهم وخضوعهم لله رب العالمين.

كانوا يصدقون مع الله تعالى، ويصدقون مع أنفسهم في الالتزام بهذا العهد الذي تقتضيه تلك الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) إنهم يعلمون أن معنى هذه الكلمة هو: بيع النفس لله تعالى واستسلامها له وإخلاصها له، وانقيادها لجميع أوامره؛ لأن العبد إذا قال هذه الكلمة ثم أطاع هوى نفسه وشيطانه وشهواته

---

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) الأحزاب: ٢٣-٢٤.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

لم يكن ملتزمًا بحقيقة لا إله إلا الله؛ لأنه يكون بذلك قد جعل هوى نفسه إلهًا، وجعل شيطانه وشهواته آلهة تعبد من دون الله.

فهذا رجل من أصحاب النبي ﷺ يسأله أن يدعو الله له بالشهادة في سبيله فيقول النبي ﷺ: "إن يصدق الله يصدقه" فما هو إلا يسير حتى دار رحى القتال فأتي بالرجل شهيدًا، فيقول النبي ﷺ: "صدق الله فصدقه"[١].

وهذا عُمير بن الحمام ﷺ[٢] -وهو أول قتيل من الأنصار في الإسلام- يعيش تلك البيعة بكل جوارحه، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين في بدر، فدنا المشركون فقال النبي ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض" قال: يقول عُمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: "نعم". قال: بخ بخ فقال رسول الله ﷺ: "ما يحملك على قولك : بخ بخ"[٣] قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: "فإنك من أهلها" فأخرج تمرات من قرنه[٤] فجعل يأكل منها ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

سبحان الله انظر إلى مدى صدقه مع الله ويقينه بوعده وجنته، ومسارعته إلى رضوانه ، إنه لا يصبر حتى يأكل تمرات كانت معه. أين هذا من حال رجال المسلمين اليوم -إن جاز أن نسميهم رجالًا- وهم تتلى عليهم آيات الله تعالى بالليل والنهار، ويسمعون الأحاديث والمواعظ فلا تحرك منهم ساكنًا.

إنك تقول للرجل: صَلِّ! فيقول: حينما أنهي دراستي، وتقول للآخر: صل، فيقول: حينما أتزوج، وتقول للآخر: صل، فيقول: حينما أفرغ من العمل، لو كان

---

(١) مصنف عبدالرزاق (٥/ ٢٧٦).

(٢) صفة الصفوة(١/ ١٧٠) بتحقيقنا ط المكتبة العصرية/ بيروت.

(٣) بخ: كلمة تقال لتعظيم الأمر في الخير.

(٤) القرن: جعبة السهام .

هؤلاء صادقين مع الله في دعوى الالتزام بطاعته، والإسلام والاستسلام لأوامره أيتقاعسون عن تنفيذ أوامره وامتثالها؟!

انظر إلى أصحاب النبي ﷺ كيف يسارعون إلى امتثال أوامره على الفور؟

كيف يترك أحدهم طعامه ويسرع ليلبي: حي على الجهاد؟ بل انظر كيف يترك أحدهم شهوته ويدع عروسه في صبيحة عرسها ليلبي نداء الجهاد في سبيل الله.

فإن قلت: من يستطيع أن يفعل ذلك؟

قلت لك: إنه الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر الراهب[1] تزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له. فلما أسفر الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها، وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها، فقيل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، وعلقت بعبدالله بن حنظلة.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذ فيه الرمح فقال رسول الله ﷺ: "إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة".

قال أبو أسيد الساعدي رضي الله عنه: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب. فأولاده لذلك يقال لهم: (بنو

(١) صفة الصفوة بتحقيقي (١/ ٢١٥).

غسيل الملائكة).

ومثل قصة حنظلة كذلك قصة جليبيب ﷺ[1] إذ كان لا يزال حديث عهد بعرس، فعن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبًا كان امرأ من الأنصار، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم النبي ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: "يا فلان زوجني ابنتك "قال: نعم ونعمة عين. فقال ﷺ: "إني لست لنفسي أريدها". قال: لمن؟ قال: "لجليبيب". قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها.

فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ. قال: إنه ليس لنفسه يريدها. قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب. قالت: حلقى، أجليبيب؟ لا لعمر الله، لا أزوج جليبيبًا.

فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني إليكما، قالا: رسول الله، ﷺ قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟! ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني[2].

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: شأنك بها. فزوجها جليبيبًا.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: وما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: "اللهم صب عليها الخير صبًّا صبًّا، ولا تجعل

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٦٠) بتحقيقنا.

(٢) انظر معي أخي الحبيب إلى موقف هذه المرأة المسلمة التي ما إن سمعت الحوار الذي دار بين أبيها وأمها حتى سارعت تنكر على أمها وقالت لها: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟!! ليت شبابنا ورجالنا يتعلمون الاستسلام المباشر لأمر الله وأمر نبيه ﷺ من موقف هذه المرأة ورحم الله القائل:

ولو كل النساء كمن فقدنا ... لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال

وتأمل معي أخي إلى قولها: (فإنه لن يضيعني) نعم فطاعة النبي ﷺ فيها الخير في الدنيا والآخرة.

عيشها كدًّا كدًّا".

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له قال: "هل تفقدون من أحد ؟" قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا ونفقد فلانًا. ثم قال ﷺ: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا. ثم قال ﷺ: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: لا. قال: "لكني أفقد جليبيبًا، فاطلبوه في القتلى"، فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه؟! فقال رسول الله ﷺ: "هذا مني وأنا منه. أقتل سبعة ثم قتلوه؟! هذا مني وأنا منه. أقتل سبعة ثم قتلوه؟! هذا مني وأنا منه" فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ثم حفروا له، ما له سرير إلا ساعدي رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره.

قال ثابت: فما في الأنصار أيم أنفق منها[1].

إنها الرجولة الحقة فليست الرجولة في مضاجعة النساء، ولكن في مقارعة الرجال.

* الصدق مع الله في جميع الأمور:

هذا ولم يكن صدق أصحاب النبي ﷺ مع ربهم في أمر الجهاد وحده، بل صدقوا مع الله في كل شيء فهانت عليهم أموالهم كما هانت عليهم نفوسهم، وهؤلاء الصحابة أكثر من أن يحصوا لكثرتهم ولن نمثل هنا بأبي بكر ولا بعثمان بن عفان ولا طلحة الجواد الفياض ولا بالزبير ولا غيرهم من هؤلاء المعروفين المشتهرين بالنفقة والفضل، ولكن هل تسمعون عن صحابي جليل يدعى أبا الدحداح[2]؟ "إنه أبو الدحداح ثابت بن الدحداح شهد أحدًا وقتل يومئذ، فروى الواقدي عن عبد الله بن عامر قال: قال ثابت بن الدحداح يوم أحد والمسلمون أوزاع: يا معشر الأنصار إليَّ إليَّ إن كان محمد قد قتل،

---

(١) أي: أكثر نفقة منها لما وسع الله عليها ميراثها من غنيمة زوجها الشهيد، أو المقصود أنفق منها أي: هي عند الرجال مرغوب فيها مطلوبة للزواج.

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢١٧-٢١٨).

فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه، وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعكرمة[١] فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنفذه فوقع ميتًا، وقتل من كان معه، وقيل برأ من جراحه ومات على فراشه من جرح كان أصابه وانتقض عليه مرجع[٢] رسول الله ﷺ من الحديبية".

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : لما نزلت هذه الآية:﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾[٣] قال أبو الدحداح الأنصاري ﷺ: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال ﷺ: "نعم يا أبا الدحداح" قال: أرني يدك يا رسول الله قال: فناوله رسول الله ﷺ يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي! قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح! قالت: لبيك. قال: اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربي عز وجل.

وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم. وتنفض ما في أكمامهم[٤]. فقال النبي ﷺ: "كم من عِذق[٥] رداح[٦] في الجنة لأبي الدحداح"[٧].

وقد يقول قائل: إن صدق الصحابة كان لوجود النبي ﷺ بينهم ولكن انظر إلى هذا الصحابي الجليل (معن بن عدي) الذي شهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها ،

---

(١) لم يكن أسلم هؤلاء الصحابة بعد ، فكانوا مع المشركين في غزوة أحد.

(٢) أي: وقت رجوع رسول الله ﷺ من الحديبية.

(٣) البقرة: ٢٤٥، الحديد: ١١.

(٤) فانظر يا أخي إلى موقف هذه المرأة، وانظر إلى سرعة الامتثال لأمر رسول الله ﷺ، ومسارعتها مع زوجها في الطاعة، فما أن سمعت أن زوجها تصدق بهذا الحائط حتى سارعت بإخراج بنيها من الحائط، ولم تكتف بذلك بل سارعت بنفض ما في أكمام بنيها من تمر.

(٥) العذق: العذق بكسر العين الغصن من النخلة، وهو كالعنقود من العنب.

(٦) رداح: كثير الخير، مليء.

(٧) رواه مسلم.

وانظر معي إلى كلامه بعد موت النبي ﷺ. فعن عروة قال: بلغنا أن الناس بكوا على النبي ﷺ حين مات، وقالوا: والله لوددنا أنَّا متنا قبله، نخشى أن نفتن بعده، فقال معن: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتًا كما صدقته حيًّا[١].

❁ الرجولة من أخص أوصاف الرسل صلوات الله وسلامه عليهم في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وإذا كانت الرجولة من أوصاف الرسل، إذًا فهي صفة تجمع الخير كله من العقل، والرشد، والمروءة، والشجاعة، والقوامة، والعفة، والطهارة، والصدق، وغير ذلك مما فصلته آيات الكتاب الكريم.

❁ الرجولة قرينة الرشد والعقل:

قال تعالى في قصة لوط عليه السلام مع قومه: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا الله وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[٣].

❁ الرجولة قرينة العفة والطهارة:

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى في صفة مسجد قباء الذي أسسه رسول الله ﷺ على التقوى من أول يوم ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَالله يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٤].

---

(١) "صفة الصفوة" (١/ ١٦٢).

(٢) الأنبياء: ٧.

(٣) هود: ٧٨.

(٤) التوبة: ١٠٨.

❁ الرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والاستعداد للآخرة:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[١].

فالرجل الحق لا تثنيه ولا تشغله الدنيا عن إقامة الصلاة التي جعلها الله تعالى: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[٢].

والتي أخبر النبي ﷺ أن" من تركها فقد كفر"[٣].

وأخبر كذلك أن المانع الذي يمنع المرء من الشرك والكفر هو الصلاة فقال ﷺ : "بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[٤].

الرجل الحق لا تثنيه الدنيا ولا تغلبه نفسه على الإتفاق في سبيل الله، وإيتاء الزكاة حذرًا من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

❁❁❁

(١) النور: ٣٦، ٣٧.

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣)صحيح، رواه الترمذي وأحمد وانظر" صحيح الجامع الصغير" وزيادته للألباني(ج٢رقم ٤١٤٣).

(٤)صحيح، رواه مسلم وانظر" صحيح الجامع الصغير" وزيادته للألباني (ج١ رقم ٢٨٤٨).